

أنور شاول

مذكرة في صياغة الحكمة

اللوب قيل في لقد بعض لغابه لاصحاته

نشرت مقالة في مجلة الراصد بعنوان
في اصدارها ١٢ - ٢١ سفارة
١٢ تموز - ٢٢ نشرتها (١٩٨٦)

مذكارات صباغ الحذية

قائماً يهتم أحد منا بصباغ الحذية عندما يكون أقرب السامعين إلى أحد يتناولنا في المقهى أو الدائرة أو البيت . لأنهم به لأنهم صباغ الحذية بليد على زعمها ... ولكن هذا الرأي خاطئ وسيء العواقب فان بين الصباغين من يستمع إلى كل كلمة من كلماتنا ويرقب كل حركة من حركاتنا . ويذوق مشاهداته ويعلق عليها ويستحضر وينتقد وينشر .. وو ... وو ... وبها نحن ننشر لقراء الحاصد تباعاً - وللمرة الأولى في تاريخ الصحافة - مذكريات صباغ الحذية عراقي فيها من الضرائب واللاحظات والنقدات ما يجعلها في مصاف احسن المذكريات التي تستحق النشر والمطالعة .

(١)

صفرت الربيع في جيوبهم - فان حفنة من الدرارهم ، وهو دخل كبير لا اطعم بالحصول عليه طبلة أسبوع كامل من اوفر اسايس الشتاء وحلا ، وابن وعدا بتفريح المسودات قبل الطبع واحتياط اللائق منها للنشر وترك التافه شجعاني على نشر مذكراني المتواضعة .

ثُمَّ لماذا لا النشر مذكراني بينما المكتبات تطبع بهذه مذكرات مدبري الحروب تلك الملاي بالشناع البشريه ، بالخازر ، بالمطامع ، بالدسائس ، بالنار والحديد ، تلك المطاخة بالدم ، واني لاجرًا على الاعتقاد بأن مذكريات كذكرياتي ملطاخة باصباغ الاخذية لاظاف مظهراً وادسن قبولاً من مذكريات ملطاخة بالدم .

مذكراني وما زالت تنشرها

عندما كتبت هذه المذكريات لم يخطر على بالي انها ستنشر يوماً ما في الجرائد والمجളات ليطالعها القراء . وقد كان الدافع إلى تسويفها دغبة شخصية بحثة في الاحتفاظ بخلاصة عن اهم تطور في حياتي اطالعها انا في اوقات فراغي وابت بصورة منها الى ابن عم لي في مصر اعتاد ان يلح على بان اطلعه على سير الحياة عندي وأصف له مشاهداتي اليومية .

اما لا صحاب المصحف طرق شيطانية للدفاع - /سيما اقناع امثالي البسطاء الذين

ثُمَّ ان هناك عدداً من مذكرات
أخرى لا نقل سفسطة عما ذكرت ، منها
مذكرات شارب افيون، ومذكريات مومن،
وحتى مذكريات حمار - اجلسم الله - فاذا
كنا في عصر ينشر فيه الحمار مذكراته
فيقبل الناس على مطالعتها بلهمة فلماذا
لا انشر انا مذكرياتي التي فيها الشيء
الكثير مما يحب أن يكتب وينشر ويقرأ
وانني لارجو الا ينضب نشر هذه
المذكريات احداً من البشر لأنني سوف
اخذني ذكر اسماء الاشخاص الدائرة
حولهم احاديثي . انا لا اذكر ان اكثريه
القراء ترغب في معرفة الحقيقة - عارية
على قدر المستطاع ! - لا جرأة بالحقيقة
اما نكبة وتشفيها ببناء الناس ! وللسكتني
سأبقى على رأيي في عدم نشر الاسماء
لصبيان جوهر بين او لها ان كثيراً من الاسماء
بعبرة الذي انا وآنابها اني لاري اية فاثلة من
فضحها ما دمنا نرغب في «أكل النب» لا «قتل
الناظر»

والآن فانا اخشى ان مقدمي طالت
واصبح القارئ منشوقاً الى معرفة شيءٍ عنني ،
فنـ اـنـاـ ؟ وكيف اصبحت صباحاً ؟ وهـلـ يمكنـ
لصباح ان ينتـشـيـ مـذـكـرـاتـ ؟ ثـمـ ماـ هـيـ هـذـهـ
المـذـكـرـاتـ التيـ سـاحـفـ بـهـ القـارـيـ ؟

هذه استئلة لتفصيل اجوبتها استتبع
القراء قليلاً من العبر وكثيراً من الانتباه
إلى ما بلي :

شأنى الدولى

ما كانت انظف من بدلات صاحبى
(د). - اهـ كان ينفر من نفور الصحيح من
الاجر لـكونه يدفع اجرة مدرسية
ولانى من اللامذلة المجانين، لانه يحمل فى
جيئه محفظة لا تخلو من دينار على الاقل
لاني لم احصل في يوم من ايام حياتي
المدرسية اكثر من عشرة فلوس وبالاخير
لانه ابن البيت الفلاسي ولانى فقير ا

اجل اندى ذكر جيداً تلك النصائح
اللعينة التي كان يتحفنا بها بعض المدرسين
سيما المدير ومدرس اللغة كالقول بانتها
يحب ان تسودنا الحبـة والاخوة والمساواة
وابـن على قـويـنا ان يـسـاعـد ضـعـيفـنا ، وـعلـى
غـيـرـنـا ان يـزـفـقـ فـقـيرـنـا الى غـيرـذـلـكـ منـ المـظـاـتـ
الـبـالـغـاتـ فـكـنـتـ الاـحـظـ اـمـارـاتـ الـارتـياـخـ
تـبـدوـ عـلـىـ وـجـهـ صـدـيقـيـ (دـ) فـيـاـخـذـ طـبـةـ
ذـلـكـ الـيـوـمـ بـعـامـلـتـيـ بـارـقـ ماـ يـعـاـمـلـ اـخـ اـخـاهـ
فـيـقـدـمـ لـيـ الـحـلـوـيـاتـ وـالـشـكـوـلـاتـ وـالـأـقـلامـ عـنـ
طـبـيـةـ خـاطـرـ فـاتـقاـولـ مـنـهـ ماـ اـتـقاـولـ وـاعـتـذرـ
عـنـ اـخـذـ الـبـاقـيـ شـاعـرـآـ بـسـعـادـةـ هـيـ جـلـ
مـبـتـغـيـ تـلـيـذـ فـقـيرـ فـيـ مـدـرـسـةـ اـبـداـيـةـ !ـ
وـاـكـنـ فـيـ الـيـوـمـ التـالـيـ يـعـودـ كـلـ شـيـ
الـىـ بـحـرـاءـ الطـبـيـعـيـ فـانـ كـلـ عـظـةـ تـلـقاـهاـ
(دـ) فـيـ مـدـرـسـةـ هـاجـمـاـ اـبـوـاهـ بـالـفـ
حـرـكـةـ مـعـاـكـسـةـ فـيـ بـيـتـ فـكـانـ حـضـراـنـهمـ

ولدت من ابوين فقيرين وعشـتـ
في بـيـثـةـ فـقـيرـةـ وـتـرـعـرـعـتـ نـحـتـ اـكـنـافـ
الـفـقـرـ .ـ لـمـ اـعـرـفـ حـتـىـ هـذـهـ السـاعـةـ الـتيـ
اـكـتـبـ فـيـهاـ هـذـهـ الـذـكـرـاتـ وـاـنـاـ عـلـىـ
اـبـوـابـ الثـانـيـةـ وـالـمـشـرـبـينـ مـنـ عـمـرـيـ سـوـىـ
فـقـرـ ،ـ فـقـرـ دـائـمـ مـلـونـ بـالـلـوـانـ مـخـتـافـةـ.

اـنـاـ فـيـ هـذـاـ الجـوـ الـفـقـيرـ كـنـتـ اـسـتـشـقـ
نـسـيمـ الـطـامـيـنـةـ الـمـشـوـبـةـ بـالـفـلـقـ ،ـ وـالـسـعـادـةـ
الـمـشـوـبـةـ بـالـاـلـمـ .ـ وـلـوـ لـاـ تـلـكـ السـاعـاتـ الـتـيـ
كـنـتـ اـجـدـ الدـمـوعـ فـيـهاـ تـرـقـرـقـ فـيـ
عيـونـ اـمـيـ وـشـقـيقـيـ وـشـقـيقـيـ الـاـصـغـرـ عـنـدـمـاـ
كـانـ يـعـودـ وـالـدـيـ فـيـ بـعـضـ الـاـيـامـ خـالـيـ
الـبـيـدـيـنـ لـمـ اـكـنـ اـشـكـوـ مـنـ الـحـيـاةـ شـيـئـاـ .ـ

وـلـكـانـ الـاـيـامـ مـنـ خـدـاميـ .ـ
اجـلـ ،ـ ماـ كـنـتـ لـاـشـكـوـ هـمـاـ لـوـلـاـ ماـ
ذـكـرـتـ وـلـوـ اـرـسـلـ اـلـىـ مـدـرـسـةـ اـبـداـيـةـ
اـنـدـرـجـ فـيـهاـ مـنـ صـفـ اـلـىـ صـفـ حـتـىـ بـلـغـ
الـصـفـ الـخـامـسـ فـاجـلـسـ عـلـىـ رـحـلـةـ وـاحـدةـ
مـعـ نـجـلـ اـغـنـيـاءـ الـبـلـدـ جـنـبـاـ اـلـىـ جـنـبـ
فـتـقـزـزـ نـفـسـهـ فـيـحاـوـلـ اـنـ يـجـدـ لـهـ عـلـلاـ آـخـرـ
لـاـ لـانـيـ قـدـرـ اوـ اـنـ مـلـاـبـسـيـ وـسـعـذـةـ ،ـ
ـ اـسـتـغـفـرـ اللهـ فـقـدـ كـنـاـ نـيـتـ حـيـاءـاـ لـاـقـصـادـ
ـ مـاـ اـنـكـنـ هـيـ مـنـ اـقـتـاءـ بـدـلـةـ لـاـئـقـةـ كـبـراـ

قد زرقوه ولدتهم على اثر ظهور عوارض
القطف الانساني فيه يحصل مضاد فيه الشفاء
وهكذا فما تشيده المدرسة في النهار
يهدمه البيت في الليل .

والخلاصة اني قضيت حياة مربرة ،
منبوداً من اكثـر التلامذـة وغير محترم
من اكـثر المعلـمين حتى من اوئـلـكـ الذين
كانوا يتـكـرمون عـلـيـنـا بـنـصـاحـتـهمـ وـعـظـاتـهمـ
الاخـلاقـيـةـ . اـمـاـ درـجـاتـ الاـختـبارـاتـ
وـالـامـتـيـعـاتـ فقدـ كانـ عـلـيـ انـ اـبـذـلـ ضـعـفـ
المـحـمـودـ ، لاـ حـصـلـ عـلـيـ نـصـفـ ماـ يـحـصـلـ عـلـيـهـ
صـاحـبـيـ (ـدـ)ـ الذيـ كانـ لـبـلـادـهـ شـهـرـةـ

واسعة ، بين التلامذة ، وبين المدرسـينـ
اجـلـ حـقـيـ المـدـرسـينـ الـذـينـ كانواـ يـغـدوـنـ عـلـيـهـ
الـدـرـجـاتـ الـمـنـتـازـةـ ١١ـ
فـقـرـ فيـ الـبـيـتـ ، الـمـ فـيـ الـمـدـرـسـةـ ، حـرـ ، بـرـ ،
جـوـعـ كـانـ ذـلـكـ اـمـ مـزـاـيـاـ حـيـانـيـ إـلـاـ مـزـيـةـ
وـاحـدـةـ كـانـتـ تـغـمـرـ الجـمـيعـ اـحـيـانـاـ هيـ عـدـمـ
اعـتـدـادـيـ بـالـخـيـاـرـ وـالـسـخـرـيـةـ مـنـهـاـ
حـقـيـ أـذـاكـانـ صـبـفـ ١٩٣٠ـ وـدـخـلتـ
امـتـحـانـ الصـفـوـفـ السـادـسـةـ وـسـقـطـتـ تـلـكـ
الـسـقـطـةـ الـمـعـيـنـةـ الـقـىـ سـأـخـدـمـتـ عـنـهـ فـيـ بـلـيـ
طـوـبـتـ صـفـحـةـ الـدـرـاسـةـ وـانتـقـلـتـ إـلـىـ حـيـاـةـ
الـعـمـلـ بـاـفـيـهـاـ مـنـ مـهـاـزـلـ وـمـآـسـيـ ، ضـحـكـاتـ
وـدـمـوعـ